الباب التاسع
في ذكر ظلمة النار وشدة سوادها

١ ـ (٧٦) روى شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **أوقد على النار ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء كالليل المظلم** » [١] خرجه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح ، ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي كثير [٢] عن شريك .

٢ ـ (٧٧) وروى معن عن مالك عن أبي سهيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **أترونها حمراء كناركم هذه ؟ لهي أشد سوادًا من القار** » [٣] خرجه البيهقي .

وخرجه البزار ولفظه : « **لهي أشد من دخان ناركم هذه سبعين ضعفًا** » [٤] . وروي موقوفًا على أبي هريرة [٥] وهو أصح ، قاله الدارقطني .

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ، أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ١٠/ ٥٩ [بشرح الإمام ابن العربي المالكي] وقال الترمذي ما ذكره المصنف ا.هـ. وعنده « .. **فهى سوداء مظلمة** » ، وابن ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب صفة النار ٢/ ١٤٤٥ (٤٣٢٠) . برواية المصنف .

(٢) الصواب : يحيى بن أبى بُكير ، كما فى السنن .

(٣) أخرجه البيهقي في : البعث والنشور ٢/ ٢٠ (٤٨٤) . ولفظه : أن رسول الله ﷺ قال : « **تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه ، هي أشد سوادًا من القار ، هي جزء من بضعة وستين جزءا منها ، أو نيف وأربعين جزءا** » شك أبو سهل . « رجاله ثقات ».

(٤) لم أقف عليه عند البزار ، وقد أورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٨٧ بلفظ : « **أتدرون مثل ناركم هذه من نار جهنم لهى أشد من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفًا** » وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح » . ا.هـ.

(٥) أخرجه الإمام مالك في : الموطأ صـ ٧٠٣ (١٨٢٦) [راوية يحيى بن يحيى الليثي] . إعداد أحمد راتب عرموش . دار النفائس . بيروت . الطبعة الثامنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م . وعنده « .. **لهى أسود من القار** » . والقار : الزيت .

٣ ـ (٧٨) وقال الجوزجاني : حدثنا عبيد الله الحنفي ، حدثنا فرقد بن الحجاج سمعت عقبة اليماني يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **إن نار جهنم أشد حرًا من ناركم هذه بتسعة وتسعين جزءًا ، وهي سوداء مظلمة لا ضوء لها ، لهي أشد سوادًا من القطران** » [(١)] . غريب جدًا .

٤ ـ (٧٩) وروى الكديمي عن سهل بن حماد عن مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] قال : « **أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء لا يضيء لهبها** » [(٢)] . خرجه البيهقي ، والكديمي ليس بحجة .

٥ ـ (٨٠) وخرج البزار من حديث زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر ناركم هذه فقال : « **إنها لجزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، وما وصلت إليكم ـ حتى أحسبه قال ـ حتى نضحت بالماء مرتين لتضيء لكم ، ونار جهنم سوداء مظلمة** » [(٣)] .

٦ ـ (٢٨) وفي حديث عدي بن عدي عن عمر مرفوعًا ذكر الإيقاد عليها ثلاثة آلاف عام أيضًا ، وقال : « **فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا لهبها** » [(٤)] . خرجه ابن أبي الدنيا والطبراني ، وقد سبق إسناده والكلام عليه .

وروى ابن أبي الدنيا من طريق الحكم بن ظهير ـ وهو ضعيف[(٥)] ـ عن عاصم

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) أخرجه البيهقي في : شعب الإيمان ١/ ٤٨٩ (٧٩٩) . * وفيه الكدَيْمي : وهو محمد بن يونس بن موسى القرشي السلمى الكدَيْمي ، وقد سئل عنه الدارقطني فقال : يُتهم بوضع الحديث وما أحسن فيه القول إلا مَنْ لم يَخْبر حاله ا.هـ. الميزان ٤/ ٧٤ (٨٣٥٣) .

(٣) أورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٨٨ وقال : « رواه البزار ورجاله ضعفاء على توثيق لين فيهم » ا.هـ.

(٤) جزء من حديث « **يا جبريل مالي أراك متغير اللون ؟** » وقد سبق برقم (٢٨) . وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « **يا جبريل صف لي النار، وانعت لي جهنم** » فقال جبريل : إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة لا يضيء شررها ، ولا يطفأ لهبها ... .

(٥) انظر : صـ ٢٧٦ .

عن زر عن عبد الله : ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ ﴾ [التكوير:١٢] قال : سعرت ألف سنة حتى ابيضت ، ثم ألف سنة حتى احمرت ، ثم ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة . الحكم بن ظهير ضعيف ، والصحيح رواية عاصم عن أبي هريرة كما سبق .

وروى الأعمش عن أبي ظبيان عن سلمان قال : النار سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يضيء لهبها ، ثم قرأ : ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال:٥٠] . خرجه البيهقي [١] من طريق أحمد بن عبد الجبار ، عن أبي معاوية عن الأعمش مرفوعًا ، وقال : رفعه ضعيف .

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب : ضرب الله مثلا للكافرين قال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ [النور:٤٠] فهو يتقلب في خمس من الظلم : كلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات إلى النار [٢] .

وقال أيضًا أبو جعفر عن الربيع بن أنس : إن الله جعل هذه ـ النار يعني نار الدنيا ـ نورًا وضياء ومتاعًا لأهل الأرض ، وإن النار الكبرى سوداء مظلمة مثل القير ـ نعوذ بالله منها .

وعن الضحاك قال : جهنم سوداء ، وماؤها أسود ، وشجرها أسود ، وأهلها سود .

وقد دل على سواد أهلها قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس:٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] .

---

(١) أورده البيهقي في : البعث والنشور ٢/ ١٠١ (٥٦٢) وأورده ـ موقوفًا ـ في نفس الموضع (٥٦١) ، وابن أبي شيبة في : مصنفه ١٣/ ١٥٢(١٥٩٦٧) ، وهنّاد السري في : الزهد ١/ ١٧٣ (٢٤٨) . دار الخلفاء للكتاب . الكويت . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ . تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي .

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره ١٨/ ١٥١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٢٦١٤ (١٤٦٨٨).

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن من عصاة الموحدين من يحترق في النار حتى يصير فحما[١] .

*****

(١) وذلك كحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ « **يدخل ناس النار حتى إذا صاروا فحما أدخلوا الجنة ، فيقول أهل الجنة : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء الجهنميون** » .

أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٥٥ وإسناده صحيح ـ كما في المسند ١١/ ٢٤٥ (١٣٦١٢) ـ وفي رواية : « **ليصيبن أقوامًا سفعٌ من النار بذنوب أصابوها عقوبة ، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم : الجهنميون** » . أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٣ ، وفي التوحيد ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ٩/ ١٦٤.

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُدخل الله أهل الجنة الجنة . يُدخل من يشاء برحمته . ويُدخل أهل النار النار . ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيُخرجون منها حُمماً قد امتحشوا ـ أي احترقوا ـ فيلقوْن في نهر الحياة أو الحيا ـ هو المطر . فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل . ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية** » . أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٤ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١/ ١٧٢ (١٨٤) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « **أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون . ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحما ، أُذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضَبائر ضَبائر ـ أي جماعات ـ فبثوا على أنهار الجنة ـ أي فُرّقوا ـ ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل** » ـ أي محمول السيل وهو الغثاء الذي يحتمله السيل ـ فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية .

أخرجه مسلم في الموضع السابق (١٨٥) . وسيأتي برقم (٢٢٨) إلى غير ذلك من الأحاديث .